أدب العروبة فى الميزان

للأستاذ على متولى صلاح

(تتمة)

الشعراء الثلاثة الذين سنتكلم عنهم اليوم هم — دون شك — من شعراء الطليعة والصف الأول فى جامعة أدباء العروبة ، وهم الجوهر والنواة فيها ، كانوا معها أول ما نشأت ، واستمروا على عهدهم لها إلى يومنا هذا يصدحون فى كل مهرجان ، ويتبارون فى كل ميدان ...

هؤلاء هم الأساتذة : أحمد عبد المجيد الغزالى ، والعوضى الوكيل ، وطاهر محمد أبو فاشا .

وثلاثتهم نشأوا نشأة واحدة ، ونهلوا وعلوا من معين واحد وتفيئوا ظل دوحة واحدة ، فكان الصراع بينهم دائماً وكانت المنافسة بينهم أبداً .

والناظر المتأمل فيهم ، الفاحص عن طبيعة قلب كل منهم وحركات نفسه وصور وجدانه يجد بينهم — إلى ذلك — اختلافاً كبيراً .

فأولهم « الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى » شاعر نشهد بأنه شاعر مجيد فيه طلاوة ولمعانه إشراق . والخصلة التى تبدو فيه واضحة وضوحاً قوياً حتى تكاد تلازمه فى كل ما يكتب هى أنه لا ينسى نفسه أبداً ! لا تنسيه إياها المناسبة أيا كانت ، ولا ينسيه إياها مقتضى الحال كيفما كان ، فهو يفتأ يتحدث عنها ويتكلم فيها حتى تحسبه يوشك أن يقول للناس : هأنذا ...

وليس مما يؤخذ على الشاعر أن يصور للناس نفسه ، وأن يطلع الناس على عواطفه إذا كان يصور نفسه مندمجة فى الشىء الذى يتناوله بالكلام ، ويطلع الناس على عواطفه متأثرة بالموضوع الذى يتحدث عنه فيكون بين نفسه وبين موضوع الحديث كمال الاتصال إن جاز أن نستعمل هذا التعبير هنا !

أما أن يترك الشاعر الموضوع الأصلى الحديث عن نفسه وعن عاطفته فى أمر لا علاقة للموضوع بهما فذلك ما نأخذه على الشاعر

والأستاذ يقف فى مهرجان الفيوم فلا يتحدث عنها بشىء ولا يسوق من تاريخها الحافل أو ماضيها المجيد شيئاً ، إنما يقف فيسرد على الناس قصة غرامه الشخصى فى غزل يخاطب فيه حبيبة يعنيها اعتقادى أنها المقصودة بكل ما قال ، ويترك الناس حيارى لا يدرون ما يقول أو فيم يقول ، وينادبها وهى فى ديارها إلى جانب النيل ويصيح لها قائلا : —

أنا أشدو لها جراحى شعراً فعساها تضمد الأشعارا
وعساها فى جانب النيل تصغى للنشيد يشعّ نوراً ونارا

ثم يشكوها فى صراحة إلى عذارى الفيوم فيقول : —

يا عذارى الرياض من كل شاد أنا أشكو إلى العذارى العذارى

وهو فى مهرجان المنصورة يخلص عجلا مسرعاً من الحديث عنها ولا يكاد يبدأ الحديث عن سيرتها حتى يعجرها غير وان ليتكلم عن قلبه وعن وجده بمالا علاقة له بالموضوع القائم فيقول:

يا لقلبى لما اطمأن به الركـ ـب وألقى هنا عصا الترحال
شاركتنى ضلالة الحب قلبى فتبارى ضلاله وضلالى
وانتبذنا هنا مكاناً قصياً وشكوت الهوى له وشكالى

وأدع ما قاله فى مهرجان الزقازيق فقد يكون حديثه عن نفسه هناك متلائماً مع طبيعة الموضوع لأن الزقازيق مهد أحلامه كما يقول ومعهد صباه الأول .

والأستاذ الغزالى يخاطب الطيور فى قصيدة « الربيع » بقوله :

يا طيور الروض غنينا النشيدا وانثرى فوق الربى زهر الربيع
وأنا لا أعلم كيف تنثر الطيور الأزهار فوق الروابى ؟

ويخاطب الأزهار — فى نفس القصيدة — بقوله : —

إيه يا زهر الربيع الباكر يا متاع القلب يا أنس الأمانى

وكلمة « يا أنس الأمانى » هذه عامية ولا معنى لها ومتى كان للأمانى أنس ؟

ويصف سهده وهو يتكلم فى مهرجان القمر فيقول : —

أقضى الليالى أنات مرددة والشاهدان علىّ النجم والسهر

والنجم وحده هو الشاهد . أما السهر فهو العلة والداء ولكنه الاضطرار !

ويفاضل الأستاذ بين بلدة « غزالة » وبين « بغداد » مفاضلة فيها تعسف شديد وإسراف بعيد ليته مدحها بغير ذلك .

ومفاضلته كذلك بين « الدسوقى » وبين « الرشيد » مفاضلة على غير وجهها ، فهذا وزير له صولة القلم وصلصلة البيان ، وذاك خليفة له أبهة الخلافة وجلال السلطان ! فإن كانت الجامعة بينهما عند الأستاذ هى الأدب فالدسوقى آدب من الرشيد وأوفر منه

مشاركة فيه . ولم يعز إلى الرشيد إلا أبيات قليلة لا تبلغ عدد أصابع اليد على أنها لم تثبت له بل نحاها بعض الرواة شاعراً آخر من شعراء الأندلس .

والأستاذ الغزالى نفسه هو الذى ذكر الرشيد عند ذكر الفاروق فى قصيدة عيد الجلوس فقال عن لواء الفاروق بعد كلام آخر : —

فيردّ الليالى الغر للشرق ويحيى أيامه والرشيدا

وقال قبل ذلك عن هذا اللواء : —

يا لواء الفاروق عشت مليـاً نحن نفدى لواءه المفقودا

والملىّ الزمان الطويل والله يقول : (واهجرنى ملياً) وكان الأولى أن يقول « يا لواء الفاروق عشت دواماً » . ويقول عن خمرة الربيع : —

فاسقنيها فى ربيع الزمن خمرة من ربها العذب أوامى

والأوام حر العطش وكيف يتأتى هذا من الرى العذب ؟

ويقول عن قلبه وهو يخاطب القمر :

قلبى الذى بات يصلى منك جمرته وقد حبته بلذع دونه سقر

والحباء العطاء وأحسبه لا يكون إلا فى الخير لا فى اللذع الذى هو شر من سقر !

وللأستاذ شعر كثير حسن وأبيات فيها جمال وصفاء ، وليست الهنات التى قدمنا بمانعتنا أن نقول فيه ما قلناه أولا من أنه شاعر مجيد فيه طلاوة ولعبارته إشراق

وثانيهم الأستاذ العوضى الوكيل وهو شاعر هادىء وديع حالم وإن كان قصير النفس غير مكثر فى القول ، والخصلة التى تغلب على جميع ما ينظم هى الأنين والبكاء بلا انقطاع ! فهو يقف فى مهرجان « الفيوم » فيقول بعد بيت واحد من القصيدة : —

على شفتى من خمرة الحب نشوة تلهب ترنيمى بهـا وغنائيا

وإن كانت النشوة التى هى السكر فى اللغة لا تكون على الشفة

وهو يناجى القمر فى قصيدته عنه فينحرف مسرعاً ليندب صباه ويبكيه فيقول : —

له حسرات ملأن الضمير ووجد تلهب حتى استعر

ويصف شعره فى مهرجان الزقازيق فى صراحة ووضوح فيقول عنه : —

ليس شعرى من الكلام ولكن هو من لهفتى ومن إطراقى

ويبتدىء قصيدته بمهرجان المنصورة ببكاء ليس وراءه بكاء وإن كان المقام لا يقتضى بكاء بل إشادة وتغنياً بالمجد والنصر وأمجاد التاريخ ، فيقول فى مطلعها : —

هو الوجد ما تخفى بنفسك أو تبدى
هو الوجد فاذكر مالقيت من الوجد

ونهنه ترانيا بقلبك أوشكت تفيض كمهل الدموع على الخد .

وهذه ظاهرة تستوجب التسجيل فى شعر الأستاذ العوضى الوكيل فإن كان يود أن تكون بشعره هذه المسحة دائماً وإن كان يأبى إلا أن يكون شعره على هذا اللون غيرمستمد ذلك من طبيعته الخاصة — وهو ما أكاد أقول به والمحه بين ثنايا كلامه — فإنى أشير عليه بأن يعالج الخلوص من ذلك والتحلل منه .

وللأستاذ فى الكتاب ست قصائد الكثير منها جيد حسن الديباجة أضمه مع شعر الأستاذ الغزالى فى ميزان ، إلا أن قصيدته فى « الربيع » ضعيفة مفككة مختلطة المعانى مهلهلة النسج كان الأولى به ألا ينشرها فى الكتاب فهى دون شعره الآخر بمسافة بعيدة ، يقول فى مطلعها : —

أى صديق الربيع ... عدت وعدنا
فامض فى الكون كيف شئت وأنى

وأنا أفهم أن الربيع يعود كل عام مرة ولكن من أين يعود الشاعر ومتى يعود ؟

ويقول فيها يخاطب الربيع معدداً محاسنه : —

قد عمرت الحياة ركناً فركنا وغمرت القصيد وزناً فوزنا

والوزن ليس هو الشعر وليس هو الكلام الذى يقول الأستاذ إن الربيع يغمره إنما هو الميزان الذى يوزن به الشعر ويقاس به . وفى قصيدة القمر يخاطبه فيقول له : —

جلست معى أيهذا القمر وأحليت من عيشتى ما استمر

يقصد ما مذاقه مر ، وذلك الفعل « استمر » لا يؤدى هذا المعنى وإنما يؤديه الفعلان مرّ وأمرّ ، تقول مرَّ الشىء وأمرَّ الشىء صار ذا مذاق مر ، هذا إلى أن كلمة « عيشتى » خشنة جافة لا تجوز فى شعر .

وفى قصيدة الفيوم يقول عنها : —

تخيلتها معنى فلما رأيتها حسبت كأنى جئتها اليوم ثانيا

والبيت فى ذاته حسن المعنى إلا أن كلمة « معنىً » بعد

« تخيلتها » حشو اضطر إليه الشاعر فالخيال لا يكون إلا معنى أبداً ، ويقول عن الفيوم أيضاً : —

هدانا إليها فى الـسباسب طيبها   على أن روح الشوق قد كان هاديا

والمح هنا شبح بيت شوقى : —

ألمّ على أبيات ليلى بى الهوى   وما غير أشواقى دليل ولا ركب

أو شبح البيت القديم : —

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه   فطيب تراب القبر دل على القبر

ويخاطب معالى الأستاذ الرئيس فى نهاية قصيدة المنصورة قائلاً : —

جملت لأيام العروبة رونقاً   يجمله الفاروق ذو العزم والأيدى

والأيدى بالياء صوابها الأيد بحذفها والأيد القوة ولعله تطبيع

وجملة ما يقال فى الأستاذ العوضى الوكيل — رغم ما قدمنا — أن به إحساساً وأن له قلباً ، ولو استطاع التغلب على نزعته الحادة وجنوحه الشديد إلى البكاء والأنين لخطا خطوة فسيحة نحو مكان كرام الشعراء .

وثالثهم الأستاذ طاهر محمد أبو فاشا وهو شاعر اكتملت له أدوات الشاعر جميعاً ، فبيانه جزل ضخم ممتاز ، وخياله قوى رائع ، والموسيقى تضطرب فى شعره اضطراباً ، أسمع إليه وهو ينفح عن الفن ويجعل منه عصب الحياة وروحها فيقول : —

ربما استغنت الحياة عن العـ   ـلم على رغم ما جنى العلماء

وعلى الفن وحده عاش أجدا   دك دهراً وهم به سعداء

إن من أطلقوا المقول علينا   لست تدرى أأحسنوا أم أساءوا

والذى ظنها تراباً وماء   هو فى نفسه تراب وماء !

ويقول فى نفس القصيدة عن «الشاعر» هذا البيت الرائع :

ذو بيان لو عاقرته الندامى   لتناهت عن شربها الندماء

وأسمع إليه وقد وقف فى الزقازيق يقص أخبار أيامه الأولى بها :

من ترى أيقظ الخواطر حولى   وأثار المطوى من صفحاتى ؟

وأعاد الأيام والمعهد السا   مق مروج بالنجوم الهداة

الفحول الأعلام أمثلة الزهـ   ـد وشيخانه العدول الثقاة

ورفيق كأنه هامش الشر   ح إذا صات يمضغ القافات

حنبلى كأنه الجـدل الأو   رق صخابة كثير اللتات

السراج العليل يشهق فى محرا   به والبـلى يروح ويأتى

ونضبيج مفلفل لاذع الطعـ   ـمة يشوى أصابعى ولهاتى

يتصبى المجاورين فتنصـ   ـب عليه كالفاتحين الغزاة

اترك المتن واطو حاشية السـ   ـعد وأدرك شيخون قبل الفوات

أنا من مازن ومازن منى   والليالى القمراء من صدحاتى

وللأستاذ طاهر فى الكتاب ثلاث قصائد فقط خيرها قصيدته فى الزقازيق تلك التى قدمنا بعضاً منها وقد بلغ فيها الذروة ، وتليها قصيدة الفيوم وقد كان فيها الشاعر المنافح عن الشعر المبين عن فضله واصالته فى الحياة . وهو يقول فيها عن قافلة الشعراء وهى تسير : —

لو تحسّ البيداء من سار فيها   لتغنت من شجوها البيداء

والشجو فيما تقول به اللغة الهم والحزن فكيف تتغنى البيداء من هذين ، أو كيف يركبها الهم والحزن وقافلة الشعراء تسير بها ؟ وثالثتها قصيدته فى « هلال المحرم » وهى دون الأوليين ولم ترتقى كثيراً .

والأستاذ طاهر أبو فاشا شاعر يبشر بآمال كبار ، ولو سألنى سائل من تراه أشعر شعراء جامعة أدباء العروبة لقلت غير متردد إنه طاهر أبو فاشا ، ولولم يكن لجامعة أدباء العروبة إلا فضل إبراز مواهب هذا الشاعر وإظهاره لكفاها ذلك فضلا ..

فليمط الأستاذ طاهر باله إلى الشعر أكثر من هذا ، وليخلع رداء الكسل والراحة ، ولينفق للشعر جهداً أضخم مما ينفق اليوم ، وليعتزل وليخل إلى نفسه يتأمل ويتصور ويقول ، وأنا الزعيم له أن يتبوأ الصدر فى شعراء هذا الزمان .

وبعد : فتلك كلمات جلونا فيها بعض الكتاب والشعراء من جامعة أدباء العروبة أملاها علينا الحق الذى لا يداخله هوى ، والعدل الذى لا يخالطه غرض ، وكشفنا فيها عن مجهود هذه الجماعة فى عام وإنه لمجهود يسير ضئيل نرجو أن يتضاعف ويزيد .

وإن جاز لنا أن نقترح على معالى الأستاذ الرئيس أمراً فهو أن ينظر فى تعديل تشكيل هذه الجماعة حتى يتمكن كبار الكتاب والشعراء من الانخراط فى سلكها ، وأن يعدل مناهجها حتى يكون أوفى بالغرض الذى أنشئت الجماعة من أجله وهو فى كلمتين خدمة الأدب ، وخدمة الأدباء .

ونحن إذ ننتظر منه ذلك نزجى إليه — مرة أخرى — الثناء مضاعفاً والمدح مكرراً ، ثناء الأدب لناصره ، ومدح الفن لمؤازره . والسلام .

رأس البر   **على متولى صلاح**